المحاضرة الثانية: ميادين التقصي في البحث التربوي

تعتبر التربية ميدانا للبحث تختبر فيه النظريات العلمية، وتحدد فيه العلاقات علميا وتحليليا وتقوم فيه قيمة الممارسات التربوية. وتعتبر التربية كذلك ميدان ممارسة يتركز حول التدريس والتعلم، ويتضمن أساليب وممارسات تؤثر في التدريس مثل تطوير المناهج والكتب أو إدخال تعديلات على الإدارة والإشراف، والمعرفة التربوية القائمة على البحث تعكس ثنائية التربية كميدان للبحث وميدان للممارسة.

وتتعدد في التربية فروع المعرفة، إذ استعارت التربية كثيرا من مفاهيمها من علم النفس والإجتماع والأنثروبولوجيا والعلوم السياسية والإقتصاد، وغير ذلك من فروع المعرفة، وترتب على ذلك أن استخدمت التربية بعض المفاهيم السائدة في تلك العلوم مثل الذكاء والمعايير والمركز الإجتماعي وفاعلية التكاليف والثقافة ومفهوم الذات والنمو الإنساني، كما اختبرت هذه المفاهيم في البحوث التربوية وعُدل معنى بعضها أحيانا ليتلائم مع التربية، وترتب على ذلك ظهور مفاهيم تربوية جديدة.

ويستخدم البحث التربوي طرقا استمدها أصلا من العلوم السلوكية والإجتماعية، فقد سيطر علم النفس مثلا على البحث التربوي ومازال له تأثيره القوي حتى الآن. كما أن بعض المناهج المستخدمة في العلوم الإجتماعية قد أدخلت حديثا إلى البحث التربوي مثل البحوث الإجتماعية المسحية، وطرق الملاحظة المستخدمة في الأنثروبولوجيا والبحوث التاريخية والتحليل الإقتصادي. وبعض هذه المناهج أمكن تطبيقه بطريقة مباشرة وبعضها الآخر طبق بعد تعديله بما يتلائم مع التربية.

1 ـ مفهوم البحث التربوي: البحث التربوي لا يختلف عن البحث العلمي في العلوم الأخرى، إلا من حيث المجال، فهو بحث علمي مجاله الساحة التربوية وما يتصل بها وتأسيسا على ذلك فيعرف بأنه: جهد منظم وموجه، هدفه التوصل إلى حلول للمشكلات التربوية والتعليمية في المجالات المختلفة.

فمن التعاريف الذي وضعت للبحث التربوي اعتباره بحث علمي في مجال التربية يسعى إلى تقديم إجابات أو حلول لمسائل أو مشكلات تربوية معينة، ويسمى البحث التربوي بحث أساسي إذا قدم إجابات نظرية عن مشكلة البحث أو بحث تطبيقي إذا قدم إجابات علمية.

وتشير عبارة البحث التربوي إلى النشاط الذي يهدف إلى توفير المعرفة التي تسمح للمربين بتحقيق الأهداف التربوية بأكثر الطرق والأساليب فاعلية، ويتم ذلك بدراسة بيئة التلميذ وجعلها مواتية لتنمية الإتجاه المرغوب فيه في نمو وتعزيزه لأكبر قدر ممكن.

وباستقراء تعريفات البحث التربوي، يلاحظ أنها نوعان: الأول منها، يصف مهمة البحث التربوي، والثاني منها يشير إلى خطوات الأسلوب العلمي في دراسة الظاهرة التربوية، وفيما يلي عرض لبعض تعريفات البحث التربوي وفق هذا التقسيم:

ـ واحد من ميادين البحث العلمي المختلفة، وهو يسعى بحكم تسميته إلى التعرف على المشكلات التربوية وإيجاد الحلول المناسبة لها.

ـ هو علم يكون في العادة موجها نحو تطوير العملية التعليمية في المجالات التربوية والنفسية ونحو حل المشكلات التي يواجههما الممارسون في عملهم.

ـ سعي منظم نحو فهم ظواهر تربوية معينة يتجاوز الإهتمام بها الإهتمام الشخصي ويشمل استقصاءا دقيقا نافذا شاملا للظاهرة بعد تحديد ما يراد بحثه منها في صورة مشكلة أو تساؤلات يرجى من البحث الإجابة عنها.

ـ كما يذكر معجم المصطلحات التربوية أن البحث التربوي: هو دراسة في الأنظمة والعمليات التربوية باستخدام مجموعة من طرق البحث المألوفة في العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية والدراسات الفلسفية والدراسات التجريبية.

2 ـ ميادين التقصي في البحث التربوي: ترتبط التربية بعلاقات وثيقة بعدد من العلوم، حيث أن البحث التربوي لم يعد له ميدانا أو مجالا معينا، وقد أدى ذلك إلى تعدد الميادين التي يتناولها، ومن التخصصات الفرعية التي تأثرت بهذا التعدد ميادين البحث التربوي التالية:

ـ الأهداف التربوية (صياغتها وتحليلها إلى أهداف سلوكية ـ تصنيفها): وتشمل عموما ما يلي: تصنيف الأهداف التربوية حسب المجال (المعرفي، الوجداني، المهاري)، استخدام خرائط المفاهيم في تصنيف الأهداف التربوية، دور التقويم المستمر في تقييم الأهداف التربوية، تحليل نتائج الإختبارات لتقييم فعالية الأهداف التربوية التحديات التي تواجه المعلمين في صياغة وتقييم الأهداف التربوية، أثر استخدام استراتيجيات التعلم النشط على تحقيق الأهداف التربوية في مادة الرياضيات، استخدام التكنولوجيا في صياغة الأهداف التربوية.

ـ المقررات الدراسية (إعدادها من حيث المحتوى): وتتضمن عموما ما يلي: أهمية مراعاة الفروق الفردية في تصميم المقررات الدراسية، دور المعلم في تصميم مقررات دراسية تفاعلية، أهمية مراعاة التوازن بين المحتوى النظري والتطبيقي في المقررات الدراسية، تحديث محتوى المقررات الدراسية بشكل دوري (تعديل المقررات الدراسية بناءا على نتائج التقييم)، تحليل نتائج الإختبارات كأداة لتقييم فعالية المقررات الدراسية.

ـ **الكتب المدرسية**: كدور الكتب المدرسية في تحقيق الاهداف التربوية، الكتب المدرسية وتنمية مهارات التفكير النقدي لدى الطلاب، دور الكتب المدرسية في غرس القيم الأخلاقية والوطنية لدى الطلاب، ملائمة محتوى الكتب المدرسية لمستويات الطلاب واحتياجاتهم، أثر استخدام الكتب المدرسية الإلكترونية على تحفيز الطلاب على التعلم، دور الكتب المدرسية في تعزيز مهارات القراءة والكتابة لدى الطلاب، مقارنة بين فعالية الكتب المدرسية التقليدية والكتب المدرسية الإلكترونية.

ـ **طرائق وأساليب التدريس**: ويتضمن عموما:

التعلم النشط: تطبيق استرتيجيات التعلم النشط لتعزيز مشاركة الطلاب في العملية التعليمية.

التعلم القائم على المشاريع: تصميم مشاريع تعليمية تفاعلية تشجع على البحث والتفكير النقدي.

التعلم التعاوني: تقييم فعالية العمل الجماعي في إنجاز المهام التعليمية.

التقويم البنائي: استخدام أدوات تقويمية متنوعة لتقييم تقدم الطلاب وتحسين أدائهم.

ـ **الوسائل التعليمية وتكنولوجيا التعليم**:

دمج التكنولوجيا في التعليم: كتقييم فعالية استخدام المنصات التعليمية في العملية التعليمية

التعليم المدمج: كتصميم نماذج تعليمية تجمع بين التعليم التقليدي والتعليم عن بعد

التعلم الإلكتروني: تطوير مواد تعليمية تفاعلية تناسب احتياجات الطلاب

ـ **الإدارة التربوية**: تتضمن مثلا دور المدير في تحفيز المعلمين للرفع من كفاءتهم، التفويض في الإدارة المدرسية.

ـ **التربية الصحية والإجتماعية والقومية والسكانية**: كتأثير برامج التثقيف الصحي في المدراس على سلوكيات الطلبة: تحليل لتأثير برامج التثقيف الصحي على عادات النظافة الشخصية، التغدية الصحية، وممارسة الرياضة للطلاب، والتوعية بمخاطر الإدمان والسلوكيات الضارة بين الشباب، دراسات حول فعالية برامج التوعية في المدراس والمجتمعات في تقليل انتشار الإدمان، بالإضافة مثلا لتقييم البرامج التثقيفية حول الصحة النفسية في المدارس، وتأثيرها على التوعية بالمشاكل النفسية مثل القلق والإكتئاب بين الطلاب.

ـ **الإمتحانات المدرسية وأنظمتها**: وتتضمن ما يلي: تأثير القلق من الإمتحانات على أداء الطلاب، طرق ومعايير كتابة وبناء أسئلة الإمتحانات، دور الإمتحانات المدرسية في تحفيز الطلاب على التعلم، اختيار نظام الإمتحانات المناسب لمستوى الطلاب واحتياجاتهم، تعديل أنظمة الإمتحانات بناءا على نتائج التقييم.

ـ **التقويم التربوي** (تقويم المعلم، تقويم المتعلم، تقويم منظومة المدرسة)

ـ **البيئة المدرسية (المادية، النفسواجتماعية)**: تتضمن تأثير تصميم الفصول الدراسية على تعلم الطلاب

دور العلاقات الإجتماعية بين الطلاب في التحصيل الدراسي، تأثير العوامل النفسية (القلق، الإكتئاب) وتأثيرها على التحصيل الدراسي، دور الأنشطة اللامنهجية في تنمية مهارات الطلاب، بناء بيئة مدرسية آمنة وداعمة للطلاب

ـ **إعداد المعلم**: **مثل** دراسة تأثير تدريب المعلمين على الذكاء العاطفي في تحسين تفاعلهم مع الطلاب وبناء بيئة تعليمية إيجابية.

ـ **محو الأمية وتعليم الكبار**: مثل عوامل انتشار الأمية في المجتمع، برامج محو الأمية وطرق تعليم الكبار.

ـ **التوجيه والإرشاد التربوي، استراتيجيات ونظم التعليم، اقتصاديات التعليم التربية المقارنة والإدارة التعليمية**.

ـ **الصحة النفسية للتلميذ والمعلم**: مثل تحليل أثر برامج الإستشارة والدعم النفسي على التكيف والمرونة النفسية للمعلمين في مواجهة التحديات اليومية في الفصول الدراسية.

تقييم برامج التحفيز والمكافآت على الدافعية والمشاركة الفعالة للطلاب في المدرسة.

دور التدريب على مهارات التواصل العاطفي في تعزيز العلاقة بين المعلم والمتعلم وتحسين المناخ الصفي.

ـ **أساليب التعلم**: مثل دراسة أثر تطبيق التعلم التفاعلي والتعلم القائم على المشروعات في تعزيز مهارات التفكير النقدي لدى الطلاب.

ـ **التأهيل التربوي للمعلم والتدريب التربوي في أثناء الخدمة**.

ـ **خصائص نمو التلاميذ والفروق الفردية بينهم**: **مثل** تحليل العوامل الإجتماعية والثقافية التي تؤثر على نمو الطلاب وأدائهم الآكاديمي، دراسة التفاوت في الإهتمامات والميول الأكاديمية بين الطلاب وتأثير ذلك على تطورهم الشخصي والأكاديمي، تحليل التطورات النفسية والعقلية للتلاميذ خلال مراحل نموهم وتأثير ذلك على تحصيلهم الدراسي.

ويرى البعض أن هناك منهجين رئيسيين معتمدين في البحوث التربوية هما:

- **المنهج الأساسي**: أو كما يسمى أحيانا بالمنهج الأكاديمي، يركز على البحث عن الحقيقة أو على تطوير نظرية تربوية، والباحثون في هذا المنهج يصممون دراسات تختبر أو تصقل أو تعدل أو تطور نظريات، وبشكل عام يتبع الباحثون مؤسسة أكاديمية ويقومون بتنفيذ هذا البحث كجزء من عملهم في الدراسات العليا والدكتوراه.
- **المنهج التطبيقي**: يحاول الباحثون في هذا المجال إيجاد حلول لمشاكل تعليمية قائمة، هذا المنهج هو نهج نفعي لأنه يسعى للعثور على المعلومات التي من شأنها أن تنفع بشكل مباشر الممارسة التربوية وعادة ما

يكفل عمل الباحثين جهات تكون مسؤولة عن تلبية احتياجات البحث وبالمقابل تستفيد من نتائج البحث، والهدف من هذا البحث هو "تحديد مدى فاعلية تطبيقات مباديء ونظريات تعليمية عن طريق اختبار الفروض ضمن إعدادات معينة.

3 ـ ويمكننا أن نلخص أهمية دراسة البحث التربوي فيما يلي:

ـ تدريب الباحثين وإعدادهم بالإطلاع والقيام بالدراسات والبحوث في مجالات التربية المختلفة عن طريق:

- مساعدة الدارس على تنمية قدراته على فهم أنواع البحوث والإلمام بالمفاهيم والأسس والأساليب التي يقوم عليها البحث التربوي.
- مساعدة الدارس على الإختبار السليم لمشكلة معينة لبحثه وتحديدها وصياغة فروضها، واختيار وتحديد أنسب الأساليب لدراستها والتوصل إلى نتائج يوثق في صحتها.

ـ تزويد الدارس بالخبرات التي تمكنه من القراءة التحليلية الناقدة للبحوث وملخصاتها وتقييم نتائجها والحكم على ما إذا كانت الأساليب المستخدمة في هذه البحوث تدفع إلى الثقة بنتائجها ومدى الإستفادة منها في مجالات التطبيق والعمل.

ـ مساعدة الدارس بالتطبيق العلمي لما تعلمه نظريا من أسس ونظريات وأساليب وذلك بإجراء بعض البحوث التربوية بتوجيه وإشراف أساتذة أكفاء، لأن تعلم منهاج البحث لا يتأتى على نحو سليم إلا بالممارسة وترجمة الأفكار إلى واقع.

أدى البحث التربوي إلى تطوير كثير من المفاهيم التربوية، وتعميق فهمنا لكثير من الأمور التربوية، مثال ذلك كان هناك اعتقاد راسخ لدى الآباء والمعلمين بأن الطفل المتفوق قادر على العناية بنفسه، ولكن البحوث والدراسات التي أجريت على الأطفال المتفوقين في مصر وفي غيرها من البلاد بينت مدى حاجة المتفوقين إلى رعاية خاصة وأن إهمال هذا الأمر قد يعود بالضرر على المتفوقين وعلى المجتمع في آن واحد.

ورغم ما يتعرض له البحث التربوي من الصعوبات التي سبق ذكرها، إلا أن العائد من البحث التربوي وبخاصة في معاونة المسئولين على اتخاذ القرارات التربوية يجعل من المهم محاولة التغلب على هذه الصعوبات أو على الأقل أخذها في الإعتبار عند إجراء البحث، ولقد استطاع البحث التربوي تطوير طرق فعالة وبخاصة في البحوث التي تتعلق بدراسة التحصيل الدراسي والذكاء. كما أن هناك مناهج بحث أخرى قد استفاد منها البحث التربوي وترتب عليها الحصول على معلومات متجددة وكثيرة.

المراجع:

ـ حسين هاشم الفتلي .(2014). **أسس البحث العلمي في العلوم التربوية والنفسية: مفاهيمه، عناصره، مناهجه،** ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

ـ عادل مُحَمَّد العدل .(2014). **مناهج البحث في العلوم الإنسانية،** ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن.